الجذور التاريخية للرمزية في الشعر العربي
بين الأسباب والأهداف

إعداد

الدكتور أشرف حسن محمد حسن الدبسي
الأستاذ المشارك بكلية اللغات
جامعة المدينة العالمية بماليزيا

الأستاذة انتصار عمران المقريف
الأكاديمية الليبية للدراسات العليا
كلية اللغات بجامعة طرابلس

ملخص البحث

هذا البحث جاء بعنوان: الجذور التاريخية للرمز في الشعر العربي الأسباب والأهداف، وإشكالية البحث تكمن في أسباب الرمزية في الشعر العربي وهل الرمز فن غربي لم يعرفه الأدب العربي؛ نظراً لاختلاف أسبابها عن الشعر الغربي، وسيهدف البحث إلى بيان أهم الأسباب الداعية إلى الرمز في الشعر العربي وأهدافه، وسيعالج هذا البحث مادته بواسطة المنهج الوصفي الاستنباطي التحليلي، لأسباب الرمز وأهدافه في الشعر العربي، وتوصل البحث إلى أن أهم أسباب الرمز في الشعر، الحروب وآثارها، والمدارس الشعرية الحديثة، والعادات والقيم الاجتماعية، والترجمة، وتوصل الباحث إلى أن أهم أهداف الرمز، تتلخص في قدرته على توجيه الأدباء والشعراء إلى الإبداع الأدبي؛ حيث ينقلهم إلى التعمق في اللغة والبحث في أعماق أفكارهم عن وطن لغربتهم؛ مما يجعلهم يتخذون من لغة الإيحاء تعبيراً لهم عن المشاعر والأحاسيس.

الكلمات المفتاحية: الرمزية- دلالة المزية في النقد الحديث- جذور الرمز في الشعر العربي- أسباب الرمز- أهداف الرمز.

ABSTRACT

The historical roots symbols in the Arab poetry : Reasons and objectives

This research is titled: The historical roots of the symbols in the Arab poetry ; reasons and objectives. The problem of the research lies in the purposes of the metaphorical expressions in the Arabic poetry ; whether metaphors are a Western art that has never been introduced to the Arabic literature; since the purpose is different of that in the Western poetry. This research aims to provide a thorough analysis of its topic through an analytical, inferential and descriptive methodology to study the reasons and objectives of using metaphors in Arabic literature. The study revealed that the main reason for using metaphors in Arabic poetry is the wars and their effects, appearnce of modern poetic school, habits and social values, and translation. The researcher suggested that the most important objectives of the metaphors are concluded in its ability to guide the writers and poets to the creativity in literature; transports them to delve deeper into the language, and search the depths of their ideas for a homeland in their disapora; causing them to make an expression of the language to reveal about feelings and emotions.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله، وعلى أصحابه وعلى أتباعه وعلى من اقتدى بهم إلى يوم الدين.

وبعد... فالأدب أقدم فن من الفنون الجميلة التي وجد فيها الإنسان خير وسيلة للتعبير عن النفس وتصوير الحياة البشرية وأحداثها بكل ما فيها من أفراح وأتراح، وذلك من خلال اللغة فلا شيء يصبغ الوعي بنفسه، وبما في العالم سوى تسميته الأشياء كلها بأسمائها كبيرها وصغيرها، وإظهار ما يجول في نفسه من أحاسيس ومشاعر، وما يشغل النفس من عواطف وأفكار، يصوغها الأديب بأسلوب جميل، وصور بديعة، وخيال رائع، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الشعر هو اللغة كالأم للبشرية، فالإنسان يولد بفطرة يحس ويشعر من قبل أن يفكر ويعقل.

والظاهرة الشعرية لغوية في جوهرها لا سبيل إلى إتيانها إلا من جهة اللغة التي تمثل فيها عبقرية الإنسان وتتقوم بها ماهية الشعر، كما أن الشعر في العصر الحديث هو امتداد أو تسلسل لمواضيع الشعر في الماضي، وعليه حددت دراسة الرمز في الشعر العربي، فهذا الشعر المتمرد على الأوزان والقوافي، يرمز الشعراء به للحب وللثورة وللحنين؛ ولذلك كان الحديث عن: "الرمز في الشعر العربي أسبابه وأهدافه"، سائلين الله -عز وجل- أن يكون العمل موفقًا، وأن يكون إضافة لمجال الأدب، والله ولي التوفيق.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في البحث عن أهم الجذور التاريخية للرمز في الشعر العربي والأسباب التي دعت الشعراء العرب للرمز في شعرهم، والهدف منه؛ حيث يختلف بصورة كبيرة عن أهدافه عند شعراء الغرب.

وسيحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما مفهوم الرمز؛ انطلاقًا من قاعدة الحكم على الشيء فرع عن تصوره؟

٢- بين أهم أسباب الرمز في الشعر العربي.

٣- وضح أهم أهداف الرمز.

أهداف البحث:

سيحاول البحث جاهدًا بيان العناصر الآتية:

١- بيان مفهوم الرمز.

٢- توضيح أهم أساب الرمز.

٣- بيان أهم أهداف الرمز.

من الدراسات السابقة:

من الدراسات التي تتعلق بالرمز أو الرمزية -وإن كانت كثيرة لا يمكن الإحاطة بها- من الكثرة؛ لأن ذكرها يستغرق صفحات كثيرة، سنكتفي بتلك الدراسات والبحوث التالية:

١. الرمز في شعر نزار قباني، زينب الحراري جرجر، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، ٢٠٠٧م:

أشارت الباحثة إلى التعريف بالرمز بمدلولاته الإشارة والإيحاء، إلا أنها اختلفت عن بحثنا؛ حيث ألقت الضوء على الرموز التي اعتمدها نزار في قصائده الشعرية، وقد استخدمت الباحثة المنهج التاريخي مع إيراد الأمثلة والنماذج.

٢. الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة ديالي، العراق، العدد الثاني والخمسون، ٢٠١١م، م. د. جلال عبد الله خلف:

تناولت هذه الدراسة موضوع الرمز في الشعر العربي، كونه من الموضوعات الأدبية المثيرة للجدل، ركز فيه على العراق والرمز عند شعرائها.

٣. معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربية، أعدت الدراسة الباحثة/ نور سلمان، وتقدمت بها للدائرة العربية في الأمريكية؛ للحصول على درجة الماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت لبنان سنة ١٩٥٤م.

٤. الرمز بالتراث في شعر حسن السوسي، عائشة عبد الله بحرون، جامعة الزاوية/ ليبيا، ٢٠١٢م.

٥. الرمزية والأدب العربي الحديث.

٦. رسالة معالم الرمزية في الشعر الصوفي.

٧. الرمز الشعري لدى محمود درويش لرشيدة أغبال.

٨. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر محمد فتوح أحمد.

٩. توظيف الرموز الأسطورية في الشعر بين نازك والسياب للدكتورة رباب حسين.

١٠. الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، محمد علي الكندي.

١١. القوس ودلالتها الرمزية في شعر الشماخ بن ضرار الذبياني، للباحث/ أشرف أمين جاد أبو زيد، المدرس المساعد بكلية الآداب بقنا، شارك به: في مؤتمر شباب الباحثين الذي نظمه قطاع الدراسات العليا بالجامعة ٢٠١٣م.

١٢. الدلالات الرمزية التعبيرية في الفن الأسترالي الأصلي كمدخل لاستلهام تشكيلات نحتية معاصرة، محمد السيد العلاوي، شلبي، هاني بولس، خضر، شريف مصطفى، مجلة بحوث التربية النوعية– مصر، ع ٢٤، (٢٠١٢).

ومن تلك الدراسات أيضًا: المذهب الرمزي، ومراحل المدرسة الرمزية، والمرحلة الثالثة من مراحل الرمزية، ووجهة النظر الإسلامية حول المدرسة الرمزية، وخصائص المذهب الواقعي، والشعر الجاهلي، لمصطفى الشورى، ولا شك أن ما كتب عن الرمزية لا يمكن حصره إلا أنه يحتاج لأن ينشر منه القليل الذي.

لقد تناول البحث الجذور التاريخية للرمزية ذات المغازي الإيجابية المعبرة عن معانٍ مستلهمة من تجربة الشاعر مضافًا إليها تجارب غيره من الشعراء السابقين، إلا أنها خصصت في مجال محدد وهو الرمز بالتراث؛ حيث ركزت على مضامين الرمزية في اهتمامات نصوص التراث العربي في الشعر بالبحث عن أهم الجذور التاريخية للرمز في الشعر العربي، والأسباب التي دعت الشعراء العرب للرمز في شعرهم، والهدف منه؛ حيث يختلف بصورة كبيرة عن أهدافه عند شعراء الغرب، فأعطت لهذه الدراسة أهمية خاصة من حيث دراسة الجذور التراثية سواء كان تراثًا دينيًا أو تاريخيًا أو أدبيًا، واعتمد في ذلك على استخدم المنهج الفني والتحليلي الذي يعتمد النص غاية ووسيلة.

منهج البحث:

يعالج هذا البحث مادته بواسطة المنهج الوصفي الاستنباطي[١]، التحليلي، لأسباب الرمز

(١) وهو طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها [الجديلي، ربحي عبد القادر الجديلي، في كتابه، مناهج البحث العلمي: ص ٢٥، =

وأهدافه في الشعر العربي، ولا يخلو من المعالجة التاريخية أو التحليلية متى احتاج الأمر لذلك.

إجراءات البحث:

سيقوم البحث بإلقاء الضوء على الرمزية العربية متعرضًا لأهم أسبابها التي كانت سببًا في ظهرها، مناقشًا ومحللًا، ومسجلًا للمراجع في الهامش ومستخدمًا المنهج التحليلي.

هيكل البحث:

وسينتظم البحث في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وأهم النتائج، وأهم المصادر والمراجع.

المقدمة، مشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكل البحث.

وستتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

المقدمة: ستشمل الموضوع ومشكلته وأهدافه ومنهجه وهيكله.

التمهيد: سيتناول نظرة على الرمز وجذوره العربية.

والمبحث الأول: مفهوم الرمزية ودلالتها في النقد الحديث، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي، للرمزية.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي، للرمزية.

المبحث الثاني: الرمز في الشعر العربي أسبابه وأهدافه، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أسباب الرمزية في الشعر العربي.

المطلب الثاني: أهداف الرمزية في الشعر العربي.

المبحث الثالث: الرمزية بين الغرب والعرب.

والخاتمة: وفيها: أهم نتائج وتوصيات البحث.

وثبت لأهم المصادر والمراجع.

=

ط ١ بدون ت.].

المبحث الأول: مفهوم الرمزية ودلالاتها في النقد الحديث

المطلب الأول المفهوم اللغوي للرمزية:

جاء الرمز في المعاجم اللغوية بعدة معانٍ منها ما أورده ابن منظور في اللسان بقوله إنه "تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت".(١)

وقد وردت أيضًا بمعنى: "الإشارة بالشفتين والعينين أو الحاجبين أو الفم أو اللسان"(٢) وقد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾(٣)، والرمز هنا يعني الإشارة ومن هذا المنظور اللغوي يتبين أن الرمز يتمثل قيمته الإشارية" والرمز قديم قدم الإنسان نفسه"(٤)، فهو "عبارة عن إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس".(٥)

فالهمس، أو الإشارة من أهم المعاني اللغوية التي يعبر عنها الرمز، والإشارة بهمس دون تصريح من المعاني التي ربما هي أقرب للمعنى الاصطلاحي لمعنى الرمزية في الشعر.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي

إن الحاجة للتعبير الرمزي هي التي أوجدت هذا الفن، فأحيانًا يعجز المنطق عن التعبير وتنظيم العلاقات، فالشاعر في أثناء خلق لغته الرمزية إنما يتجاوز اللغة المعجمية المألوفة، فالتعبير الرمزي من أقدم التعابير "والرمز باليونانية تعني: قطعة فخار تقدم إلى الضيف دلالة على حسن الضيافة، كما أنها تعني اشتراك شيئين في حركة واحدة، هما الإشارة والمشار إليه، أي الرمز والمرموز"(٦) إذن فهو قاسم مشترك بين الإشارة والمشار إليه"، ولأن العقل ليس

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ٣،(د. ت)، مادة: ر م ز.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ٣،(د .ت)، مادة: ر م ز.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ٤١.

(٤) الطاهر، محمد بن الطاهر، في: الرمز في الشعر العربي(دراسة تطبيقية في شعر بدر شاكر السياب)، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص: ١٠.

(٥) عشري، علي عشري زايد، في: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والأعلام، طرابلس- ليبيا، ط ١، ١٩٧٨م، ص: ١١١.

(٦) الأدب الرمزي، هنري بير، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، بدون ط، ١٩٨١، ص٧.

ملائمًا لاستيعاب أشكال الحياة الثقافية للإنسان في غناه وتنوعها، وهذه الأشكال جميعها أشكال رمزية، ومن هنا كانت ضرورة تعريف الإنسان بوصفه حيوانًا رامزًا"(١) كما أورد الجاحظ في كتاب البيان والتبين: "إن الإشارة أو الرمز طريق من طرق الدلالة، فقد تصحب الكلام، فتساعده على البيان والإفصاح؛ لأن حسن الإشارة باليد أو الرأس من تمام البيان"(٢) فالمفهوم الاصطلاحي للرمز أبعاد ذات اتجاهات مختلفة حسب آراء الباحثين"، ويمكن اعتباره شيئًا حسيًّا معتبرًا كإشارة إلى شيء معنوي أحست بها مخيلة الرامز"(٣) وأرسطو عندما تناول الرمز قال: "إن الكلمات رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولًا ثم التجريبية المتعلقة بمرتبة الحس، وبأن الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة"(٤) كما ربط إحسان عباس بين المعنى الظاهري والخفي في تحديد الرمز باعتباره أنه "الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري مقصودًا أيضًا"(٥)؛ فالرمز كلمة تتضمن التشابه الموجود بين الرمز والشيء المحسوس المشار إليه، وعادة ما يميز الدارسون بين أنماط ثلاثة، منها: الدلالة، والعلامة، والصورة التخيلية والرمز ويرون أن الفرق بين الوعي الخاص بالعلامة والوعي المتعلق بالصورة التخيلية"، إنهما وإن كانا يهديان إلى شيء غائب بواسطة شيء حاضر، فإن الشيء في الوعي بالصورة التخيلية محسوس خليق بأن يملأ هذا الوعي بدلًا من الشيء الغائب أو اللا حقيقي"(٦).

"فالرمز نتاج الخيال الأسطوري، وأنه بدائي يشبه صور التراث والأساطير"(٧) والرمز لا

(١) مبارك، حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، بدون ط، ١٩٨٧، ص٨٣.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في: البيان والتبين، تحيق: فوزي عطوى، دار صعب، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ج١، ص٧٦.

(٣) فتوح، محمد فتوح أحمد، في: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط ٢، ١٩٩٨م، القاهرة، ص٣٦.

(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٥.

(٥) إسماعيل، عز الدين إسماعيل، في: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، طبعة دار الفكر العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ص: ١٩٨.

(١١) عباس، إحسان عباس، في: فن الشعر، دار الشروق، عمان، ط٤، ١٩٨٧م، ص٢٠٠.

(٦) عبد البديع، لطفي عبد البديع، في: التركيب اللغوي للأدب، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٩م، ص١٥٠.

(٧) فتوح، محمد فتوح أحمد، في: الرمز الرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط: ٣، ١٩٨٤م، ص٣٢.

يحقق شيئًا بعينه، ولا يدور حول فكرة محدودة"، إنما الرمز لمحة من لمحات الوجود الحقيقي، يدل عند الناس ذوي الإحساس الواعي على شيء من المستحيل أن يترجم عنه بلغة عقلية، فالرمز وسيلة إدراك ما لا يستطيع التعبير عنه بغيره"(١)، فالرمز قد يكون أمرًا ملموسًا حسيًا"، فكل اتجاه في الكتابة فيه استعمال الرموز، إما بذكر الملموس أو إعطائه معنى رمزيًا، أو بالتعبير عما هو مجرد من خلال تصورات حسية كحروف الكتابة، واللوحات الفنية"(٢)؛ إذًا فالمحتوى الفني للرمز هو ما جعله "يتميز بقدرة تعبيرية عالية؛ إذ يستطيع الشاعر من خلال لفظة واحدة أو اثنتين أن يختصر تجربة شعرية كاملة"(٣)، وكون الرمز ذا جذور واقعية، فهذا لا ينفي قدرة الرمز على الانفصال وصنع ذاته وانفصامه عن الأشياء الخارجية.

"فإن الرمزية هي حالة من التخطف والذهول والرؤية التي تدع الأحوال النفسية ترتدي حلل المظاهر المخلوقة".(٤)

والرمزية فرضت نفسها على الواقع وجعلت من الخيال أداة لتجميل الحقيقة، "فالرمزية احترمت الواقع الخارجي، وأبقت له حقيقته الحسية الخارجية القاصرة، وتأملت في باطنه، وأطلعت منه على حقائق فعلية"(٥)، فالرمز دائمًا هو المضمون المنطقي والمرجع العقلي الذي يعول عليه، فهو لم يأت من فراغ، ولا ينتهي إلى عدم؛ إذ "يعبر عن علاقات ذات طابع تجريدي فكري عام ونفاذ موغل، يجعل الشاعر يعيش في مختلف أشكال العالم الخارجي"(٦)، فالرمز ملكة الأمور غير المنطقية، فمهما يكن الزمن الذي ظهرت فيه الرمزية، والظروف المتعلقة بذلك، سواء أكانت ظروفًا اجتماعية أو سياسية؛ فإن الرمز يتجاوز ذلك، فهو حالة إبداع، ورؤى فنية، وأحد مكونات النص الشعري أو ما يعرفه أدونيس: "الرمز هو ما يتيح لنا

(١) ناصف، مصطفى ناصف، في: الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بدون ط، بدون ت، ص ١٠٢.

(٢) وهبة، مجدي وهبة، والمهندس، كامل المهندس في: معجم المصطلحات الأدبية، إنجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان بيروت، (بدون.ط، بدون.ت)، ص: ١٠٢.

(٣) حلبي، أحمد طعمة حلبي، في: التناص بين النظرية والتطبيق، الهيئة السورية للكتاب، ط١، ٢٠٠١م، ص: ٢٤١.

(٤) الحاوي، إليا الحاوي، في: الرمزية والسريالية، دار الثقافة، بيروت،ط٢، ١٩٨٠م، ص: ١٣.

(٥) الرمزية والسريالية، ص: ١٧.

(٦) الرمزية والسريالية، ص١٧.

أن نتأهل شيئا آخر وراء النص، وهو اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تكون في وعيك بعد قراءة القصيدة"[١]، كما أرى أن العلاقة الدقيقة والخفية بين الكاتب والقارئ، يحتاج الكاتب إلى صعوبة في الوصول إلى القارئ بشيء من الجهد النفسي، وربما الرمز كان وسيلة من وسائل التكثيف النفسي للوصول للقارئ؛ وبذلك يظهر توافق نقاء الأدب الحديث على أن الرمز له أبعاد إيحائية للكشف عن العلاقة المتشابهة.

المبحث الثاني: الرمز في الشعر العربي، أسبابه وأهدافه

لكي يتم الكشف عن ماهية الرمز ومعناه؛ كان لا بد من معرفة أسبابه وأهدافه، فمن خلال التعرف إلى الشعر في عصوره المختلفة، نلاحظ أن الرمز يتفاوت باختلاف العصور؛ حيث نرى أن أقوى ظهور له في العصر الحديث، ويعود ذلك لأسباب عدة، منها أسباب سياسية، ومنها أدبية، ومنها اجتماعية، وسنعرض لها فيما يلي:

المطلب الأول: أسباب الرمز في الشعر العربي:

ولا شك أن أسباب الشعر الرمزي في الأدب العربي كثيرة ومتنوعة وتلك أهم أسباب ظهور الرمز في الشعر العربي.

١. الحروب وآثارها:

كان للحربين العالمتين الأثر الأكبر في تشكيل البنية الأدبية في العالم الغربي والعربي "فمن المعروف أن الانقلابات الكبرى التي يمر بها العالم إثر الحروب المدمرة التي تعم وجه البسيطة كالحرب العالمية الأولى والثانية، إلى جانب الاختراعات ذات الأثر البعيد في كيان العالم، والتي عرفت كعصور مر ويمر بها العالم، مثل عصر البخار والكهرباء إلى عصر الذرة، مثل هذه التغيرات التي تغير لون الحياة على سطح الأرض، يكون لها ما يقابلها من التغيرات البعيدة الأثر في نفوس الأمم التي تناولها التغير..."[٢]، ما أحدثته الحربان العالميتان من دمار شامل في البنى التحتية العالمية أثر على كيان وشخصية الإنسان العربي وقد "تعرضت الساحة الأدبية في

(١) سعيد، أحمد سعيد (أدونيس)، في زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٧٣م، ص: ١٦٠.

(٢) عبد البديع، نظمي عبد البديع محمد، في: أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر العرب، منشورات دار الفكر العربي،(بدون . ت.ط)، ص:٦٠.

الوطن العربي نتيجة الحرب العالمية الثانية لهزات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية عنيفة، زعزعت الثقة في الموروث الأدبي لدى المثقف العربي مما جعلته أرضًا خصبة لقبول التيارات الأدبية الوافدة من وراء الحدود... كالمذهب الرمزي الذي وجد قبولًا جارفًا من لدن الملقي العربي، كونه أدبًا جديدًا يتسم بالغموض وخفاء الدلالة"(١)؛ حيث أيقظت في المبدعين أفكارهم، واتجهت بهم نحو التحرر والانطلاق؛ ليعبروا عن ذواتهم محلقين بخيالاتهم بعيدًا عن القيود الشعرية التقليدية، وانعكس هذا التحرر في الشعر السياسي المقاوم والمعارض كمحاولة للتخلص من قيود الاستعمار، ولا شك أن اتساع النفوذ الصهيوني اليهودي بعد عام ١٩٤٨م كان دافعًا لهذا التحرر؛ فظهرت في الوطن العربي الحركات الفكرية والمذهبية، ومع تطور وسائل الاتصال وتأثير الشباب العربي وتأثره بالآداب الغربية، وكذلك تأثر شعراء الغرب بالأدب العربي وتأثيرهم فيه، ظهر ذلك في إبداعاتهم الأدبية: الشعرية والنثرية، وأثروا بدورهم على حركة الشعر الحديث عند شعراء العربية في خمسينات القرن الماضي(٢)

(١) خلف، جلال عبد الله خلف، في الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد ٢٠١١،٥٢م.

(٢) "ومن عباقرة الأدب في أوروبا في القرن الرابع عشر وما بعده من لم يشك أبدًا في تأثير الآداب العربية على قصصهم وآدابهم، ففي سنة ١٣٤٩ كتب بوكاشيو حكاياته المسماة بـ (الصباحات العشرة) وهي تحذو حذو (ألف ليلة وليلة)، ومنها اقتبس شكسبير موضوع مسرحيته (العبرة بالخواتيم) كما اقتبس لسنغ الألماني مسرحيته (ناتان الحكيم)، وكان شوسر –إمام الشعر الحديث في اللغة الإنجليزية– أكبر المقتبسين من بوكاشيو في زمانه، فقد لقيه في إيطاليا، ونظم بعد ذلك قصصه المشهورة باسم "حكايات كانتربري". أما دانتي؛ فيؤكد كثير من النقاد أنه كان في (القصة الإلهية) التي يصف فيها رحلته إلى العالم الآخر متأثرًا بـ "رسالة الغفران" للمعري و"وصف الجنة" لابن عربي، ذلك أنه أقام في صقلية على عهد الإمبراطور فريدريك الثاني الذي كان مولعًا بالثقافة الإسلامية ودراستها في مصادرها العربية، وقد دارت بينه وبين دانتي مساجلات في مذهب أرسطو كان بعضها مستمدًا من الأصل العربي، وكان دانتي يعرف شيئًا غير قليل من سيرة النبي ﷺ فاطلع منها على قصة المعراج والإسراء، ووصف السماء. أما "بترارك"؛ فقد عاش في عصر الثقافة العربية بإيطاليا وفرنسا، وطلب العلم في جامعتي مونبلييه وباريس، وكلتاهما قامتا على مؤلفات العرب وتلاميذهم في الجامعات الأندلسية. وقد تأثرت القصة الأوروبية في نشأتها بما كان عند العرب من فنون القصص في القرون الوسطي، وهي المقامات وأخبار الفروسية ومغامرات الفرسان في سبيل المجد والعشق، وكان لألف ليلة وليلة بعد ترجمتها إلى اللغات الأوروبية في القرن الثاني عشر أثر كبير جدًا في هذا المجال؛ حتى أنها طبعت منذ ذلك الحين حتى الآن أكثر من ثلاثمائة طبعة في جميع لغات أوروبا، حتى ليرى عدد من النقاد الأوروبيين أن رحلات جليفر التي ألفها سوبقت، ورحلة وبنسون كروزو التي ألفها ديفوه مدينة لألف ليلة وليلة، ولرسالة حي بن يقظان لفيلسوف العربية ابن طفيل. ولا يشك أحد في

فهذا الوعي العربي بخطر الاستعمار والذي نتج عنه ذلك الصراع الفكري ولد لدى مثقفي وشعراء العالم العربي الشعور بضرورة" التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوي اللغة على ادائها في دلالاتها الوضعية، بحيث تتولد المشاعر عن طريق الآثار النفسية، لا عن طريق التسمية والتصريح"(١) وبذلك شاع الرمز في الشعر العربي؛ حيث استعملوه في التعبير عن أفكارهم السياسية، فكان من أبرز هؤلاء" الشاعر محمد مهدي الجواهري الذي اعتمد الرمز أسلوبًا للتصوير، لأجل التحرر من السياقات التقليدية والقاموسية والقاعدية؛ ليتطلع إلى ما وراء الصورة عن طريق الإحساس فضلًا عن خشيته من بطش النظام آنذاك"(٢)؛ فنتج عن كل ذلك ظاهرة الغموض في الشعر المعاصر.

٢. المدارس الشعرية الحديثة:

لم تولد الرمزية من فراغ بل ظهرت كرد فعل عن المذهب الرومانسي الذي أغرق في الخيال والمتعة؛ حيث غلبت على أنصار هذا المذهب العاطفة و" يمكن أن نعتبر- تجاوزًا- أن الاتجاه الرمزي كان رد فعل ضد جمود المذهب الطبيعي والوضوح الصارم في المذهب البرناسي

=

أن هذه الكثرة الهائلة لطبعات ألف ليلة وليلة دليل على إقبال الغربيين على قراءتها ومن ثم على تأثرهم بها، ولا حاجة بنا إلى أن نذكر ما دخل اللغات الأوروبية على اختلافها من كلمات عربية في مختلف نواحي الحياة؛ حتى أنها لتكاد تكون كما هي في اللغة العربية، كالقطن، والحرير الدمشقي، والمسك، والشراب، والجرة، والليمون، والصفر، وغير ذلك مما لا يحصى. وحسبنا في هذا المقام قول للأستاذ ماكيل: (كانت أوروبا مدينة بأدبها الروائي إلى بلاد العرب، وإلى الشعوب العربية الساكنة في النجد العربي السوري تدين بأكبر قسم -أو بالدرجة الرئيسية- لتلك القوى النشيطة التي جعلت القرون الوسطي الأوروبية مختلفة روحًا وخيالًا عن العالم الذي كان يخضع لروحه، ولا شك أن التأثر باللغة والأدب العربي كان له أثر بالغ في سلوك الغربيين وتغيير نمط حياتهم؛ شأنه شأن أي أدب لما للأدب من تأثير على النفوس، وتهذيب للسلوك". [موقع: http://www.onislam.net/arabic/ask-the-scholar/8269/50207-2004-08-01%2017-37-04.html تاريخ التصفح: ٧/ ١٠/ ٢٠١٥م، تاريخ الرفع: ٢٤/ ٠٩/ ٢٠٠١م].

(١) الأحمد، حسام رشاد الأحمد، في: ظهور المدارس والمذاهب الشعرية، مقال إلكتروني: http://www.arrafid.ae/arrafid/f5_6-2011.html ، مجلة الرافد، دار الثقافة، تاريخ التصفح: ٧/ ١٠/ ٢٠١٥م.

(٢)الأعرجي، محمد حسين الأعرجي، في: الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م، ص١٧.

وشكليته الجافة"[١] فبعد هذا الإغراق في استباحة الجمال والتحلل من أي عقيدة أو فكر، وفصل الأدب عن الحياة الاجتماعية ووصف أمورًا لا تفيد الواقع بشيء، وصناعة أدب إباحي لا يخدم المجتمع ولا القيم الجمالية في الوجود" فقد ظهرت الرمزية... في الوقت الذي ظهر فيه مذهب البرناسيين ومذهب الفن للفن..."[٢] ونتج عن هذا الاتجاه العاطفي إن تحللوا من القيود التي تلزمهم الجمود والكبت العاطفي، فكان لابد لهم من التعبير بالرمز الموحي المتمثل في التغني بالطبيعة؛ فكانت ثورتهم على التقليد أحد الأسباب التي دعت إلى ظهور الرمزية حفاظًا على قيم المجتمع فالمذهب الرومانسي يرى أن العاطفة هي طريقة الوصول إلى الحقيقة فقد "أدلى علم السيكولوجيا بأن في الإنسان حالتين: واعية ويدركها العقل والايجاب، وغير واعية قصر العقل عنها، وقد تكون هذه الزاوية في الإنسان هي الحقيقية، ويكون الواقع سرابًا".[٣]

إذًا الرمزية الأدبية كانت هي الخيار الأوسط بين المذاهب الأدبية الأخرى" الرمزية في الأدب حركة أدبية... وكانت هذه الحركة ثورة على الطبيعة البالغة الغاية في الجمود وعلى البرنسية المفرطة في الوضوح"[٤]، فكان ذلك الانتقاص الذي وجد بالمدارس الأدبية السابقة هو أحد الأسباب وأهمها في ظهور الرمزية الأوربية، وهى نفسها ذات الأسباب التي أدت إلى ظهورها فيما بعد في الأدب العربي "إلا أنه في ظل التأثر بالمذاهب الأدبية الكبرى في الغرب، عرف الشعر العربي الحديث حضور بعض صور الاتجاه الرمزي، كما عرف في الغرب ويمكن اعتبار أعمال الشاعر "سعيد عقل" بداية لظهور هذا الاتجاه في ظل تأثر واضح بالرمزية الفرنسية..."[٥]، وإن كان هناك من يرى بأن الأدب الرمزي ليس بالحديث، وأن ما حدث

(١) زرقون، قريرة زرقون، في: الحركة الشعرية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م، ج١، ط١، ص: ١٥٧.

(٢) مندور، محمد مندور، في: في النقد الأدبي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة،(بدون ط، بدون ت)، ص: ١١٢.

(٣) كرم، انطوان غطاس كرم، في: الرمزية والأدب العربي الحديث، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٤٩م، ص: ١٧.

(٤) الأمير، سيد الأمير، ورضا، غلام رضا، في: الرمزية في الأدبين العربي والغربي، مجلة التراث الأدبي، العدد السادس، السنة الثانية، ص٩٨.

(٥) زرقزن، قريرة زرقون في: الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، ج١، ص: ١٥٨.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما هو إلا عملية تجميع لعناصر هذا المذهب، فكما يرى "جوي ميشود": "إن الفضل يرجع إلى الرمزيين أنفسهم في جمع هذه العناصر التي كانت متفرقة، ومن ثم تأجيلها ووضعها في شكل نظرية منظمة"(١).

٣. العادات والقيم الاجتماعية:

لقد فرض الرمز على الشعراء تجنبًا للكتابة الصريحة وما ينتج عنها، لهذا اتخذوا الرمز أسلوبًا للكتابة التي قد يخالف ما قد يصرح به الشاعر من القول المنافي للعادات والقيم الاجتماعية؛ فقد "سعى الشعر الحديث جاهدًا –من خلال بناء عالم قصيدته– إلى أن يكون مركزه الإنسان، وسعى للتعبير عن وضعه المأساوي السوداوي إزاء اشتراطات اجتماعية وسياسية قاسية، وللتعبير عن غربته وضياعه في هذا العالم"(٢). بل في بعض الأحيان كان الشعراء يؤثرون الرمز حقنًا لدمائهم وحفظًا لأرواحهم من لو صرحوا بمقاصدهم؛ فالشاعر أدونيس يقول إن الشعر" لا يقدر أن ينتج ويزدهر إلا مع مناخ الحرية الكاملة؛ حيث الإنسان مصدر القيم"(٣) كما أن الشعر العربي لم تكن دوافعه فقط لكتمان العاطفة وعدم البوح بها، بل تجاوز ذلك إلى غيرها من الأسباب العقائدية والسياسية التي عاصرها الإنسان العربي خلال مرحلة الاستعمار والانتداب، وما عاناه نتيجة تحرر قلمه إزاء ما يمر به من ظلم واستبداد، فالشاعر جزء من الحياة الاجتماعية والسياسية التي تفرض عليه أسلوب التأليف والكتابة؛ فغالبًا ما كان الشاعر يدفع ثمن انتمائه الاجتماعي والسياسي والكتابة المضادة التي قد تأول به إلى غياهب السجون؛ كما حدث مع الشاعر محمود درويش وهو يصف لنا سجنه السياسي "وفي السجن اكتشفت الشجر بكل ما فيه من مودة كرد فعل للون الرمادي، وهكذا تصبح الألوان مثار اهتمام من نوع جديد، ما زلت أقول أن النفي الحقيقي للإنسان هو أن تبعده عن الشجر، كل عشية تتحول إلى رمز، في السجن تكتشف علاقتك

(١) صالح، كامل فرحان صالح، في: الشعر والدين، دار الحداثة، بيروت، ٢٠٠٤م، ط ١ ،ص: ٩.
(٢) صالح، كامل فرحان صالح، في: الشعر والدين، دار الحداثة، بيروت، ٢٠٠٤م، ط ١، ص: ٩.
(٣) ياسين، السيد ياسين، في: التحليل الاجتماعي للأدب، دار التنوير، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٣م، ص:١٦٤.

الحميمة بالناس، ويزداد الانتماء حنانًا، وترى أهلك من زاوية أخرى لم تنتبه لها من قبل"[١].

٤ . الترجمة:

مع بداية عصر النهضة ونتيجة للهجرة العربية إلى أوروبا والأميركتين؛ استطاع الأدباء العرب الاطلاع على الآداب الغربية ومذاهبها الأدبية، مما نتج عنه نقل لتلك المذاهب، بل وقد طوروا الأدب العربي من خلال الترجمة وخاصة من الفرنسية التي تعد موطن أغلب المذاهب الأدبية "فقد بدأت الترجمة عن الفرنسية مبكرة ونشطة لارتباطها بحملة نابليون... كذلك شملت حقبة واسعة من عصور الأدب الفرنسي"[٢]، وكان لنشأة مدرسة الألسن في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٥١ هـ الدور الأول في النهوض بحركة الترجمة عن الفرنسية؛ حيث جاء في الوثيقة الصادرة عن مجلس الملكية المصرية" إنه يقتضي فتح مدرسة للترجمة من اللسان الفرنساوي للسان العربي؛ نظرًا لأهمية ذلك... وأن يعهد برياستها للشيخ رفاعة"[٣] فكان من أهم هؤلاء الذين ترجموا عن الفرنسية "طه حسين، وأحمد حسن الزيات، ومحمد حسين هيكل..." [٤].

فتركزت أغلب الترجمة عن الفرنسية في القرن التاسع عشر، وإن كانت مهمة هذه المدرسة هي إعداد موظفين حيث" أصبح الغرض منها تخريج المترجمين وإمداد المدارس الخصوصية الأخرى بتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية..."[٥]، كما نشطت حركة الترجمة في بيروت نتيجة الاحتكاك بالبعثات التبشيرية ففي "سنة ١٩٤٣ نشر الأب نقولا أبو هنا

(١) أول حوار لمحمود درويش في الصحافة العربية مع الناقد محمد دكروب، نشرت بمجلة الطريق اللبنانية، موسكو، ١٩٦٨م.

(٢) العبد، عبد الحكيم العبد في: حركة الترجمة الحديثة اتجاهاتها ومعطياتها في الأدب ومناهج البحث، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص: ١٩.

(٣) جاك تاجر، في: حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م، ص:٣٣.

(٤) حركة الترجمة الحديثة، ص١٩.

(٥) حركة الترجمة بمصر، ص٣٤.

الملخص من ترجمته أوفى وأفضل ترجمة شعرية لحكايات لافونتين..."[١]

وناهيك عن الترجمة، ونتيجة لعامل التأثر والتأثير، فقد غلبت على شعراء المهجر الرمز في السردي، فلم يكتف شعراء المهجر بمجرد الترجمة لهذا المذهب الرمزي بل تأثروا به في كتاباتهم وأثروا به في الشعر العربي؛ حيث لم ينقل المذهب الرمزي إلى الأدب العربي نقل حرفي، بل انتقل بصورة تحمل تجارب أصحابها من الأدباء العرب، وما يتلاءم مع القيم العربية" فمن أبرز القضايا الفنية التي لفتت الانتباه في تجربة الشعر الجديد ظاهرة الاستخدام المكثف للرمز كأداة تعبيرية استعملها الشاعر لإيصال فكرته إلى القارئ"[٢]؛ فجاءت قصائدهم متحررة من القيود والوزن والقافية يميلون إلى اللغة السهلة والأساليب الواضحة في محاولة لتوصيل الفكرة بأيسر الطرق، فكانت الترجمة هي وسيلة النقل بين الثقافات العربية والغربية، فتحيز الأمم بالأدب هو كالحكم بالاندثار لهذا الأدب؛ حيث "اختلطت الثقافات في عصرنا الحاضر بعضها ببعض اختلاطًا لا نظير له وتلاقح الأدب العربي والآداب العالمية بعد احتكاكه واتصاله بها بشكل لم يعهد له مثيل على مر التاريخ..."[٣]. وكل هذا يعود إلى حركة الترجمة والدور الذي لعبته من حيث النقل اللغوي، ومن حيث تأثر الأدب العربي بالمذاهب الأدبية الغربية.

لقد كان لكل تلك الأسباب الأثر الكبير في انتشار المذهب الرمزي في الأدب العربي، كما نتج عن حركات التحرر في الدول العربية ونيل أغلب الدول لاستقلالها نهضة أدبية واسعة، كمحاولة من الإنسان العربي لمواكبة ما سبقه إليه الأمم الأخرى أثناء فترة التجهيل والاستعمار للعالم العربي، بالإضافة إلى الرغبة في التجديد والنفور من التعبير المباشر الذي كبل من حرية الشاعر في الكتابة والإبداع، ومع كل ما سبق: لم تستطع الرمزية أن تشكل مذهبًا محددًا في الأدب العربي "قد لقى الأدب الرمزي الذي ينحو منحى الرمزية الغربية معارضة شديدة حتى في لبنان ... واستهوى فيها الأدب الرمزي فريق كبير من أدبائها، وأما

(١) حركة الترجمة الحديثة، ص ١٩.

(٢) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص١٩٤.

(٣) أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ص٦٠ .

مصر فكانت تلك أشد وأعنف"[١]، فالرمزية الغربية ظهرت في الآداب العربية نتيجة لعامل التقليد للثقافات الأجنبية الذي أدى بالضرورة إلى ظهور هذا الأثر.

المطلب الثاني: أهداف الرمزية في الشعر العربي:

من أهداف الرمز بكل صوره بلاغية هو وسيلة للأداء الشعري والتأثير، إذا وظف بأسلوب جمالي ومؤثر في المتلقي "أهمية الشعر الرمزي تكمن أيضًا في أن الشعراء يسعون دائمًا إلى اكتشاف ما هو حقيقي في الكون، وما هو جوهري في الإنسان لا عن طريق العقل والعلم، وإنما عن طريق التجربة الحديثة عن طريق الرؤية الفنية فهم يؤمنون بأن هناك حقائق عليا مطلقة من واجب الشاعر الاضطلاع بها للكشف عنها والإيحاء بها عن طريق التعبير الرمزي"[٢] إن أهداف الرمز تتأرجح بين الخاصة والعامة، فقد هدف الشاعر العربي المجيد إلى توظيف الرمز توظيفًا فنيًّا ولا يزال يسعى إلى ذلك من خلال الرمز الذاتي والجماعة والرمز التراثي، "فللرمزية أهمية كبيرة؛ فقد استطاعت بمفاهيمها النظرية وبالآثار الفنية التي أوجدتها أن تطبع النقد الحديث بطابعها وتترك عليه بصمات لا تمحى في معظم مدارس النقد الأدبي التي غالبًا ما تتوسل بمناهيج الرمزية في البحث للكشف عن الدلالات"[٣]، فالشاعر عليه أن يرتقي بالقصيدة بعمق أفكاره حتى يصل إلى مستوى من الإبداع والابتكار من خلال توظيفه للرمز؛ لأن "الحركة الرمزية في الأدب كانت ومازالت تلفت الأفكار إلى كثير من القضايا الجوهرية في الفن"[٤]، فالغموض في الشعر يقصد به غموض السياق، وليس غموض المعنى الدلالي للكلمة غير أن البعض قد حمل هذا الشعر إلى التعقيد مما أدى إلى نفور القارئ في حين أن يكون "استخدام الرمز في الشعر دليل على عمق ثقافة الشاعر من جهة وعمق نضجه الفكري من جهة أخرى؛ إذ لابد للشاعر الذي يرغب في توظيف الرمز

(١) الرمزية في الأدبين العربي والغربي، ص٩٩.

(٢) الذيب، أحمد مفتاح الذيب، في: توظيف الرمز في الشعر الليبي، رسالة مركونة، جامعة المنيا، كلية دار العلوم للدراسات الأدبية، ٢٠١٢م، ص: ٦٥.

(٣) التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م، ص: ١٤٥.

(٤) قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا، ص١٩٢.

في شعره من ثقافة وتجربة واسعة لأن الرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يعانيها الشاعر وتمنح الأشياء مغزى آخر"[1] فأهمية الرمز تكمن في قدرته على توجيه الأدباء والشعراء إلى الإبداع الأدبي؛ حيث تنقلهم إلى التعمق في اللغة والبحث في أعماق أفكارهم عن وطن لغربتهم، فجعلوا من لغة الإيحاء تعبيرًا لهم عن المشاعر والأحاسيس.

المبحث الثالث: الرمزية بين الغرب والعرب

المطلب الأول: أسباب ظهور الرمزية بمفهومها الغربي في الأدب العربي:

أولًا: الرغبة العارمة التي دفعت العرب في جميع مستويات التعليم والفنون والآداب إلى تقليد الثقافات الأجنبية والأوروبية، حتى امتد هذا التقليد للأوربيين في آدابهم ومذاهبهم الأدبية وطريقة تآليفهم، ومن ذلك الرمزية في الشعر، ولا شك أن التقليد كان سببًا رئيسًا في تفشي وانتشار مذهب الرمزية الأوربية بصورتها وشكلها في أدب العرب، ولا يعني ذلك أن الرمز فن لم يكن موجودًا عند العرب، ونظرة على الشعر الصوفي وشعر الزهد نجد أنه مليء بتلك الرموز الشعرية الرائعة في صورتها وشكلها ومعانيها، والكلام هاهنا عن الشكل الرمزي الأوروبي في قالب الرمز.

ثانيًا: هجرة العرب إلى الدول الأجنبية، لا شك أن أول من هاجر من الشعراء والأدباء أهل الشام –وتحديدًا أهل لبنان– وكانت هجرتهم لدول أمريكا وبخاصة أمريكا؛ وكانت هجرتهم مدفوعة بعوامل عدة، من أهمها: الفقر الذي أدى لحرمانهم، ورغبتهم في الحرية التي لم يحصلوا عليها في أوطانهم، ولا يقصد الحرية المطلقة العامة، وإنما حرية الكلمة والتعبير الحرية الأدبية، ولا شك أن نظرهم كان متقدمًا؛ حيث يعدم البعض الآن بسبب حرية الكلمة يعتقل بسبب قصيدة إلى غير ذلك، ولا شك أن حرية الكلمة أسمى أنواع الحرية.

ثالثًا: الثورة على الأساليب القديمة التقليدية بألفاظها وأساليبها ومعانيها، كانت تلك الثورة سببًا في التوجه للشكل الرمزي الغربي واتباعه في صياغة الرمزية العربية؛ فنشأت مدارس مهمة في هذا الاتجاه منها المدرسة الرومانتيكية، ومنها وجدت الرمزية الحديثة العربية منابتها

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص١٩٨.

الأولى في التعبير الرمزي، والفضل في ذلك لشعراء المهجر ورواده من أمثال: جبران خليل جبران، الذي تأثر أدبه وفنه الذي استخدمه في رسم الصورة بشعراء الرمزية المتصوفة، وكان ما خطه جبران أول ظهور للأدب الرمزي الحديث الذي اختلف في صورته عن الأدب العربي، وجاء موافقًا للآداب الغربية في الشكل فقط على ما أرى.

المطلب الثاني: الرمزية في الشعر العربي الحديث:

لا شك أن الاتصال بالثقافات الغربية والمذاهب الأجنبية كما ذكرنا سابقًا أدى ليس إلى ظهور الرمزية –كما يدعي البعض– وإنما كان سببًا في انتشار الرمزية الحديثة، وسيتم إلقاء الضوء على أهم صور وأشكال الرمزية الحديثة:

١– الرمزية في الشعر، ولا شك أن مجالات الشعر المتنوعة والكثيرة وأهداف الشاعر التي يهدف إليها من شعره كانت سببًا في استخدامه الرمزية، وكان من أهم موضوعات الرمزية في أغراض الشعر:

– الرمزية في الغزل الحب: ودفع الشعراء لاستخدام الرمزية في هذا الغرض الشعري العادات والتقاليد العربية وربما الإسلامية والتي تمنع الشاعر أن يصرح باسم محبوبته فكان يستخدم الرمز في التعبير عن مشاعره، ولذلك عد بعض الشعراء الذين صرحوا بمن أحبوهم في شعرهم من المجانين، والمقدمات الطللية كان مليئة بالرمز وقصائد شعراء الغزل عامة، وبخاصة العفيف كانت مليئة بالرمزية، وفي ذلك رد على من يزعم أن الرمز فن غربي خالص.

– الرمزية في الدين: إذا أُعِدَّت الصوفية -أو أحب أن أعبر عنها بالزهد- من المذاهب الدينية، ومن مظاهر التدين، فلا شك أن ظهور شعر الرمز فيها كان سببًا في إيجاد هذا الفن الحديث في الشعر العربي، وأرى أن شعر علي محمود طه الرمزي امتداد لهذا الشعر الصوفي.

– الرمزية في الشعر السياسي: ولا عجب أن يكون بطش الملوك والأمراء على مر العصور سببًا كبيرًا ومؤثرًا في نشأة فن الرمز في الشعر العربي؛ إذ الحرية التعبيرية لا تستدعي الرمزية، وإنما يستدعيها البطش والحكم بالقوة، وكانت الرمزية في مخاطبة الحكام ونقدهم سببًا ومظهرًا من مظاهر الرمزية في العصر الحديث في الشعر والأدب العربي، وإذا أضيف لهذا المظهر الرمزية في مقاومة المحتل والتعريض به وبظلمه تكتمل صور الرمزية الشعرية وتنضج إلى حد كبير بعيدًا عن دعاوى كون الرمزية فينًا غربيًا خالصًا.

– الرمزية في وصف الطبيعة: والتعبير عنها بدأ ذلك في العصر الجاهلي بوصف الأطلال، ومر بالعصر الأموي، واكتمل ونضج في العصر العباسي.

– الرمزية في المسرح: ولا شك أن الفكاهة التي تقدم لنقد صور القصور في المجتمع

وتقصير الدول والحكومات في حق فقراء الشعوب دعاهم للفكاهة والسخرية من ذلك؛ فصاغوا قصصًا مسرحية تجسد ذلك، ولما كان الخوف من الحاكم؛ لظلمه وعدم عدالته استخدم الرمز في النقد والسخرية بدلًا من التصريح سخرية قاتلة مبكية أو ما تسمى بالمأساة الملهاة.

المطلب الثالث: وجوه الاتفاق والاختلاف بين الرمزية العربية والرمزية الغربية:

لما اتصل العرب بالحضارات والآداب الغربية والأجنبية تأثروا بتلك الثقافات، وأخذوا منها صورًا وأشكالًا كثيرة من التطور وليس الإيجاد، وكان ذلك من أسباب اتفاق الرمزية العربية مع الرمزية الغربية في أشياء، منها:

– ظهرت الرمزية العربية مثل نظيرتها الرمزية الغربية في صورة جميلة سهلة بعيدة عن الصنعة اللفظية القديمة والتكلف المقيت الذي يعد عبئًا على اللفظ والمعني ومعولًا لهدم الأدب كما أرى.

– تشابهت الرمزية العربية –في العصر الحديث فقط– بالرمزية الغربية في شكل المذهب الذاتي الشخصي البعيد عن الواقع المحسوس المحلق في الخيال البعيد عن المجتمع بتفاصيله وأحداثه.

– كان الغموض التام والإبهام المطلق سمة غالبة ومميزة للرمز العربي، وكذلك الرمز الغربي؛ مما دعا الكثير إلى أن يدعي كما يقول الصوفية: لن يفهم هذا الكلام إلا من كشف عنه الحجاب.

– امتاز الرمز العربي عن الرمز الغربي بأن المثالية كانت هدفًا واضحًا في كل آدابه بسبب الدين والعادات التقاليد، وأن الأدب العربي والشعراء الرمزيين لم يكونوا بعيدين عن المجتمع بأحداثه الاجتماعية، والسياسية، والقافية، ولم ينعزلوا عن المجتمع كما انعزل الرمزيون من شعراء الغرب، وإن انتشر المذهب الرمزي الغربي بصورة واضحة في الأدب المصري والأدب اللبناني من الدول العربية، خصوصًا في الرمز النثري (المسرح، والقصة، الخطبة...).

الخاتمة

ويظهر للباحث من خلال هذا العرض لـ(الرمز في الشعر العربي أسبابه وأهدافه) عدة نتائج منها:

أولًا:

– غموض مفهوم الرمز؛ لتعدد مجالاته وأسبابه وأغراضه، وأن الرمزية فرضت نفسها على الواقع وجعلت من الخيال أداة لتجميل الحقيقة.

– الرمز دائمًا هو المضمون المنطقي والمرجع العقلي الذي يعول عليه، فهو لم يأت من فراغ ولا ينتهي إلى عدم، وهو ملكة الأمور غير المنطقية، فمهما يكن الزمن الذي ظهرت فيه الرمزية والظروف المتعلقة بذلك، سواء أكانت ظروفًا اجتماعية أو سياسية؛ فإن الرمز يتجاوز ذلك؛ فهو حالة إبداع ورؤى فنية، وأحد مكونات النص الشعري.

ثانيًا:

– كان للحروب أثر كبير في تشكيل البنية الأدبية في العالم الغربي والعربي مما ساعد في ظهور الشعر الرمزي غربيًا وعربيًا.

– لم تولد الرمزية من فراغ، بل ظهرت كرد فعل عن المذهب الرومانسي الذي أغرق في الخيال والمتعة؛ حيث غلبت على أنصار هذا المذهب العاطفة، وكان من شعر الرمزية ملجأً وأرضًا خصبة لهم.

ثالثًا:

– فرض الرمز على الشعراء العرب تجنبًا للكتابة الصريحة وما ينتج عنها، لهذا اتخذوا الرمز أسلوبًا للكتابة التي قد يخالف ما قد يصرح به الشاعر من القول المنافي للعادات والقيم الاجتماعية.

– لا يخفى أن حركة الترجمة وكذلك الهجرة للشعراء العرب إلى دول المهجر كان سببًا كبيرًا في ظهرو الشعر الرمزي.

– أهمية الرمز تكمن في قدرته على توجيه الأدباء والشعراء إلى الإبداع الأدبي؛ حيث تنقلهم إلى التعمق في اللغة والبحث في أعماق أفكارهم عن وطن لغربتهم، فجعلوا من لغة الإيحاء تعبيرًا لهم عن المشاعر والأحاسيس.

أهم التوصيات:

توجيه الدراسات الأدبية إلى دراسة الرمزية ومقارنتها بالرمزية الغربية في مجالاتها المختلفة (شعرًا، ونثرًا، وكتابة...)، وكل الفنون الأدبية ودراسة مقارنة للرمز عند الغرب والعرب للوقوف على مدى تأثر الأدبين كلاهما بالآخر وفي الآخر.

قائمة المصادر والمراجع

– الأدب الرمزي، هنري بير، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، بدون ط، ١٩٨١.

– عبد البديع، نظمي عبد البديع محمد، في: أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر العرب، منشورات دار الفكر العربي، (بدون. ت. ط).

– عشري، علي عشري زايد، في: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس– ليبيا، ط١، ١٩٧٨م.

– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في: البيان والتبين، تحقيق: فوزي عطوى، دار صعب، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ج١.

– ياسين، السيد ياسين، في: التحليل الاجتماعي للأدب، دار التنوير، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

– عبد البديع، لطفي عبد البديع، في: التركيب اللغوي للأدب، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٩م.

– عبد البديع، لطفي عبد البديع، في: التركيب اللغوي للأدب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.

– حلبي، أحمد طعمة حلبي، في: التناص بين النظرية والتطبيق، الهيئة السورية للكتاب، ط١، ٢٠٠١م.

– الذيب، أحمد مفتاح الذيب، في: توظيف الرمز في الشعر الليبي، رسالة مركونة، جامعة المنيا، كلية دار العلوم للدراسات الأدبية، ٢٠١٢م.

– جاك تاجر، في: حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م.

– زرقون، قريرة زرقون، في: الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م، ج١، ط١.

– أول حوار لمحمود درويش في الصحافة العربية مع الناقد محمد دكروب، نشرت بمجلة الطريق اللبنانية، موسكو، ١٩٦٨م.

– مبارك، حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال، الدار البيضاء، بدون ط، ١٩٨٧.

– الطاهر، محمد بن الطاهر، في: الرمز في الشعر العربي (دراسة تطبيقية في شعر بدر شاكر السياب)، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، ط ٢، ٢٠٠٧م.

– فتوح، محمد فتوح أحمد، في: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط ٢، ١٩٩٨م، القاهرة.

– فتوح، محمد فتوح أحمد، في: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط: ٣، ١٩٨٤م.

– الرمزية في الأدبين العربي والغربي.

– الأمير، سيد الأمير، ورضا، غلام رضا، في: الرمزية في الأدبين العربي والغربي، مجلة التراث الأدبي، العدد السادس، السنة الثانية.

– كرم، انطوان غطاس كرم، في: الرمزية والأدب العربي الحديث، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٤٩م.

– الحاوي، إليا الحاوي، في: الرمزية والسريالية، دار الثقافة، بيروت،ط٢، ١٩٨٠م.

– إسماعيل، عز الدين إسماعيل، في: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، طبعة دار الفكر العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.

– صالح، كامل فرحان صالح، في: الشعر والدين، دار الحداثة، بيروت، ٢٠٠٤م، ط ١.

– الأعرجي، محمد حسين الأعرجي، في: الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م.

– ناصف، مصطفى ناصف، في: الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بدون

ط، بدون ت.

– العبد، عبد الحكيم العبد في: حركة الترجمة الحديثة اتجاهاتها ومعطياتها في الأدب ومناهج البحث، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٧م.

– عباس، إحسان عباس، في: فن الشعر، دار الشروق، عمان، ط٤، ١٩٨٧م.

– خلف، جلال عبد الله خلف، في الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد ٥٢ ، ٢٠١١ م.

– مندور، محمد مندور، في: في النقد الأدبي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة،(بدون ط، بدون ت).

– سعيد، أحمد سعيد(أدونيس)، في زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٧٣م.

– ابن منظور في: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ٣،(د. ت).

– وهبة، مجدي وهبة، والمهندس، كامل المهندس في: معجم المصطلحات الأدبية، إنجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان بيروت،(بدون. ط، بدون. ت).

– الجديلي، ربحي عبد القادر الجديلي، في كتابه، مناهج البحث العلمي، ط١ بدون ت.

مواقع إلكترونية:

– الأحمد، حسام رشاد الأحمد، في: ظهور المدارس والمذاهب الشعرية، مقال إلكتروني: http://www.arrafid.ae/arrafid/f5_6-2011.html ، مجلة الرافد، دار الثقافة، تاريخ التصفح: ٧/ ١٠/ ٢٠١٥م.

– موقع: http://www.onislam.net/arabic/ask-the-scholar/8269/50207-2004-08-01%2017-37-04.html تاريخ التصفح: ٧/ ١٠/ ٢٠١٥م، تاريخ الرفع: ٢٤/ ٠٩/ ٢٠٠١م].